



## دور القوافل التجارية في توطيد العلاقات الاقتصادية والثقافية بين المغرب الإسلامي وبلاد السودان الغربي خلال القرون (4-8هـ/10-14م): دراسة تاريخية تحليلية

مبروك عمر المبروك خليفة

Mmr583826@gmail.com

### الملخص

يتناول هذا البحث دور القوافل التجارية في توطيد العلاقات الاقتصادية والثقافية بين المغرب الإسلامي وبلاد السودان الغربي خلال القرون الرابع إلى الثامن الهجري/العاشر إلى الرابع عشر الميلادي، وهي مرحلة شهدت تطوراً واضحاً في حركة الاتصال عبر الصحراء الكبرى، وازدياد أهمية الطرق التي ربطت بين مراكز المغرب الإسلامي والممالك الإسلامية في السودان الغربي. وتكمن أهمية الموضوع في أن التجارة الصحراوية لم تكن نشاطاً اقتصادياً منفصلاً عن بقية مظاهر الحياة، وإنما كانت وسيلة أساسية للاتصال بين مجتمعات متباعدة جغرافياً. فقد حملت القوافل الذهب والملح والمنسوجات والخيول والمعادن وغيرها من السلع، كما حملت معها الأخبار والأفكار واللغة والعادات والعناصر الدينية والثقافية. وتتناول الدراسة أهم الطرق التجارية، ودور القبائل الصحراوية، ولا سيما صنهاجة الصحراء، وأهمية المدن والمحطات التجارية، مثل سجلماسة وأودغشت وتوات وتادمكة وغانة وتنيكت، إضافة إلى تحليل طبيعة السلع المتبادلة. كما تبحث الدراسة في أثر التجارة في انتشار الإسلام والثقافة العربية، وفي ظهور مراكز علمية في السودان الغربي ارتبطت بعلاقات متواصلة مع المغرب الإسلامي. وتنتهي الدراسة إلى أن القوافل أسهمت في بناء شبكة اقتصادية وثقافية واسعة، وأن الصحراء الكبرى، على الرغم من صعوبة طبيعتها الجغرافية، أصبحت مجالاً للاتصال والتبادل بين شمال إفريقيا وغربها.

### Abstract

This study examines the role of commercial caravans in strengthening economic and cultural relations between the Islamic Maghreb and Western Sudan during the fourth to eighth centuries AH/tenth to fourteenth centuries CE. During this period, trans-Saharan trade developed into an extensive network connecting the markets and political centers of North Africa with the kingdoms of Western Sudan. The study examines the principal caravan routes, the role of Saharan tribes, the importance of commercial settlements, and the major commodities exchanged between the two regions. Particular attention is given to gold and salt, which constituted two of the most significant commodities in the trans-Saharan exchange system.



The study also investigates the cultural consequences of caravan trade, particularly the spread of Islam, Arabic language, Islamic education, scholarly traditions, and cultural practices.

The research argues that caravans should not be understood merely as economic means of transportation. They constituted channels of communication through which merchants, scholars, travelers and religious figures moved between North Africa and Western Sudan.

Consequently, caravan trade contributed to the development of political, economic and cultural relations between the two regions.

استلام الورقة: 2026-01-25 - قبول الورقة: 2026-02-15 - نشر الورقة: 2026-03-02

الكلمات المفتاحية: القوافل التجارية، المغرب الإسلامي، السودان الغربي، الصحراء الكبرى، الذهب، الملح، سجماسا، صنهاجة، تنبكت.

**Keywords:** Caravan trade, Islamic Maghreb, Western Sudan, Sahara, gold, salt, Sanhaja, Sijilmasa, Timbuktu.

## المقدمة

مثلت الصحراء الكبرى أحد أبرز المجالات الجغرافية التي أسهمت في تشكيل تاريخ العلاقات بين شمال إفريقيا وغربها. فعلى الرغم من اتساعها وقسوة طبيعتها، لم تمنع الصحراء قيام علاقات اقتصادية وسياسية وثقافية بين المجتمعات الواقعة على جانبيها. وقد ارتبط المغرب الإسلامي منذ العصور الوسطى بشبكة واسعة من الطرق الصحراوية التي اتجهت نحو بلاد السودان الغربي، وكانت القوافل التجارية الوسيلة الرئيسية لعبور هذه المسافات الطويلة. وتزايدت أهمية هذه الحركة بعد انتشار الإسلام في شمال إفريقيا، ثم تطورت بصورة أكبر مع قيام ممالك ودول قوية في السودان الغربي.

وقد أصبحت التجارة الصحراوية تعتمد على منظومة متكاملة تشمل المدن التجارية، والقبائل الصحراوية، والواحات، ومصادر المياه، والأدلاء، وأصحاب الإبل، والحراس والتجار.

ومن هنا فإن دراسة القوافل تتيح فهمًا أوسع لطبيعة العلاقات بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي. ولم تكن السلع هي العنصر الوحيد الذي انتقل عبر الصحراء، بل انتقل معها الإنسان والثقافة والدين واللغة والمعلومات.

## إشكالية البحث

تتمثل الإشكالية الرئيسية في البحث في السؤال الآتي:

إلى أي مدى أسهمت القوافل التجارية في توطيد العلاقات الاقتصادية والثقافية بين المغرب الإسلامي وبلاد السودان الغربي

خلال القرون (4-10هـ/14م)؟

ويتفرع عن هذه الإشكالية عدد من التساؤلات:



1. ما أهم الطرق التي سلكتها القوافل؟

2. ما أهم المراكز التجارية التي ارتبطت بها؟

3. ما دور القبائل الصحراوية في حماية القوافل؟

4. ما أهم السلع المتبادلة؟

5. ما مكانة الذهب والملح في هذه التجارة؟

6. ما أثر النشاط التجاري في العلاقات السياسية؟

7. كيف أسهم التجار في انتشار الإسلام؟

8. ما أثر القوافل في انتقال اللغة العربية والثقافة الإسلامية؟

9. كيف أسهمت التجارة في ظهور مراكز علمية في السودان الغربي؟

ويحاول البحث الإجابة عن هذه الأسئلة من خلال الجمع بين المصادر التاريخية والجغرافية والدراسات الحديثة.

#### أهمية البحث وأهدافه

تنبع أهمية البحث من كون التجارة العابرة للصحراء تمثل أحد أهم مجالات الاتصال بين المغرب الإسلامي وإفريقيا الغربية.

كما أن دراسة القوافل تكشف عن العلاقة بين الاقتصاد والسياسة والثقافة في العصر الوسيط.

ويهدف البحث إلى:

- دراسة الطرق التجارية الصحراوية.
- التعريف بأهم المدن والمحطات التجارية.
- تحليل دور القبائل الصحراوية.
- دراسة السلع المتبادلة.
- توضيح أهمية الذهب والملح.
- بيان أثر التجارة في نمو المدن.
- دراسة العلاقة بين التجارة وانتشار الإسلام.
- توضيح أثر التجارة في اللغة العربية.
- دراسة الدور الثقافي للعلماء والتجار.
- إبراز الصحراء باعتبارها مجالاً للتواصل وليس مجرد حاجز جغرافي.

وقد بينت الدراسات الحديثة أن النشاط التجاري ازدهر نتيجة تضافر عوامل متعددة، منها الموقع الجغرافي، وانتشار الإسلام، ووجود

المراكز التجارية ومحطات الاستراحة والأدلاء والرعاة.

منهجية البحث ومصادره



اعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي، من خلال تتبع تطور التجارة الصحراوية وتحليل العوامل التي ساعدت على استمرارها. كما اعتمد على المنهج المقارن عند التعامل مع الروايات المختلفة المتعلقة بالطرق والمدن والسلع. وتأتي المصادر الجغرافية في مقدمة المصادر التي يمكن الاعتماد عليها لدراسة التجارة الصحراوية، ومنها مؤلفات البكري وابن حوقل والإدريسي.

وتتميز هذه المصادر بتقديم معلومات حول المدن والمسافات والطرق والموارد والأسواق. كما استفاد البحث من الدراسات الحديثة المنشورة في المجالات العلمية الجزائرية والعربية، ومن الدراسات الجامعية المتعلقة بالتجارة الصحراوية.

ويقتضي التعامل مع المصادر الوسيطة مراعاة طبيعتها؛ فبعض المؤلفين نقلوا عن روايات سابقة أو عن تجار ومسافرين، ولذلك يجب مقارنة الروايات وعدم الاعتماد على نص منفرد في المسائل المختلف عليها.

#### المبحث الأول: الصحراء الكبرى وموقعها في العلاقات التجارية

كانت الصحراء الكبرى مجالاً جغرافياً واسعاً يمتد بين البحر المتوسط ومناطق إفريقيا جنوب الصحراء. وعلى الرغم من صعوبة اجتيازها، فإنها احتوت على مسالك طبيعية ومناطق مياه وواحات أصبحت أساساً لحركة القوافل. وكانت معرفة الطريق عنصراً حاسماً في نجاح الرحلة. <sup>(1)</sup> (حسين بوبيدي، 2021، ص 63-107) ولهذا برز دور الأدلاء الذين امتلكوا معرفة بالطرق ومواقع المياه ومراحل السفر. كما ساعدت الإبل على تجاوز المسافات الصحراوية، لما تتميز به من قدرة على تحمل العطش والسير لمسافات طويلة. وقد أدى انتظام حركة القوافل إلى نشوء محطات تجارية على امتداد الطرق. <sup>(1)</sup> (عبد الله عباس، 2017، ص 208-217) وتشير الدراسات إلى أن المدن الصحراوية لم تكن مجرد أماكن للراحة، بل أصبحت مراكز للاستيراد والتصدير وأسواقاً للحرف المرتبطة بالتجارة.

#### – الطرق التجارية الصحراوية

توزعت الطرق التجارية بين محاور رئيسية تربط مناطق المغرب الأدنى والأوسط والأقصى ببلاد السودان الغربي. وكان اختلاف الطرق مرتبطاً بالموقع الجغرافي ومصادر المياه والظروف السياسية. وقد ساهمت هذه الشبكة في ربط مناطق الإنتاج بالأسواق. <sup>(1)</sup> (صباح إبراهيم الشحلي، 1984، ص 29-31) فمن الشمال كانت تتجه المنسوجات والمعادن وبعض المنتجات الزراعية والمصنعة، بينما كانت القوافل العائدة تحمل الذهب وريش النعام وسلعاً أخرى. وقد عرفت الطرق الغربية أهمية خاصة بسبب اتصالها بالمراكز المغربية ومناطق إنتاج الذهب. <sup>(1)</sup> (عبد القادر زيداني، 1980، ص 27) كما ظهرت طرق وسطى ربطت المغرب الأوسط بمناطق السودان.



وتؤكد الدراسات الحديثة وجود ثلاثة محاور كبرى للطرق التجارية الصحراوية: محور شرقي، ومحور أوسط، ومحور غربي، مع تفرع مسالك فرعية منها.

#### — سجلماسة ودورها التجاري

احتلت سجلماسة موقعاً مهماً في شبكة التجارة العابرة للصحراء. ويرتبط ذلك بموقعها الجغرافي الذي جعلها محطة تجمع للتجار والبضائع قبل التوجه جنوباً<sup>(1)</sup>. وقد ارتبطت المدينة بالطرق المتجهة نحو مناطق السودان الغربي، ولذلك استفادت من حركة القوافل. وكان الذهب من أهم السلع التي ارتبطت بتجارة سجلماسة<sup>(2)</sup>. كما استفادت المدينة من الخدمات التجارية المرتبطة بالقوافل، ومن الأسواق والصناعات والحرف. ومن خلال موقعها تحولت إلى حلقة اتصال بين الاقتصاد المغربي والأسواق الصحراوية<sup>(3)</sup>. وتبرز أهمية سجلماسة عند دراسة انتقال الذهب من السودان الغربي إلى أسواق شمال إفريقيا.

#### — إقليم توات

احتل إقليم توات موقعاً مهماً بين أسواق الشمال والجنوب. وتوضح الدراسات الحديثة أن أهل توات استفادوا من الموقع الوسيط للإقليم، فاشتغل عدد منهم بالتجارة والوساطة، وأصبح الإقليم نقطة تجمع للقوافل<sup>(4)</sup>. (عبد الله عباس، المرجع السابق، ص 208-217). وكانت القافلة التواتية تحتاج إلى الدليل الذي يمتلك معرفة بالمسالك الصحراوية والنجوم ومنازل المياه. وهذا يدل على أن التجارة الصحراوية كانت تقوم على معرفة دقيقة بالبيئة. كما ساهمت الواحات في توفير المياه والراحة للقوافل. وقد أدى النشاط التجاري إلى نمو الحياة الاقتصادية في الإقليم وارتباطه بمناطق بعيدة<sup>(5)</sup>.

#### — صنهاجة الصحراء ودورها في التجارة

برزت قبائل صنهاجة الصحراء بوصفها إحدى القوى الأساسية التي ارتبطت بحركة القوافل. ومن أشهرها ملتونة ومسوفة وجدالة. وكان موقع هذه القبائل على الطرق الصحراوية يمنحها دوراً في تنظيم حركة القوافل وحمايتها<sup>(2)</sup>. (حسين بوبيدي، المرجع السابق، ص 63-107).

(1) أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري، المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليفن وأندي فيري، تونس، الدار العربية للكتاب، 1992 ص 101-102.

(2) محمد بن أحمد ابن حوقل، صورة الأرض، بيروت، دار صادر ص 97.

(3) ابن خلدون، كتاب العبر ص 114.

(5) ابن خلدون، كتاب العبر مصدر سابق ص 116.



كما استفادت من التجارة من خلال تقديم خدمات الحماية والنقل والإرشاد.  
وتؤكد دراسة حسين بوبيدي أن قبائل صنهاجة شاركت في حماية القوافل وتسييرها عبر الصحراء، وأن المدن الصحراوية استفادت من هذه الحركة بتحويلها إلى مراكز تجارية متخصصة.

وهكذا لم تكن القبائل مجرد جماعات تعيش على هامش التجارة، بل كانت جزءاً من بنيتها.<sup>(6)</sup>

#### — تنظيم القافلة

كانت القافلة تحتاج إلى تنظيم دقيق بسبب طول الرحلة وخطورة الطريق.  
وضمت القافلة عادة التجار وأصحاب الإبل والأدلاء والحراس وغيرهم من العاملين في الرحلة.<sup>(4)</sup> (عبد الله عباس، المرجع السابق، ص 208-217).

وكان الدليل من أهم الأشخاص، لأنه يعرف الطريق ومصادر المياه.  
كما كان تنظيم السير ضرورياً للحفاظ على الإبل والبضائع.  
وكانت القافلة تتوقف في محطات محددة.<sup>(7)</sup>  
وتشير المصادر والدراسات إلى أهمية الواحات كمحطات للراحة وتزويد القافلة بالماء.  
وقد أدى هذا التنظيم إلى جعل التجارة الصحراوية نشاطاً منظماً، وليس مجرد سفر فردي.

#### — المخاطر التي واجهت القوافل

واجهت القوافل أخطاراً طبيعية وبشرية.  
ومن أهم الأخطار الطبيعية ندرة المياه والعواصف الرملية والحرارة الشديدة.  
أما الأخطار البشرية فتتمثل في قطع الطرق والنزاعات السياسية.  
وقد كانت حماية القافلة مسألة أساسية لضمان استمرار التجارة.  
وتشير دراسة حديثة عن تجارة القوافل بين المغرب الأوسط والسودان الغربي إلى أن الصعوبات شملت عوامل طبيعية مثل ندرة المياه والعواصف الرملية، وعوامل أمنية.<sup>(2)</sup> (غرزول عفاف، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، 2026).

ولهذا كان الأمن أحد الشروط الرئيسية لازدهار التجارة.

#### المبحث الثاني: أهم السلع المتبادلة

تعددت السلع المتبادلة بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي.

وكان الذهب والملح من أهمها.

(6) البكري، المسالك والممالك ص 105.  
(7) ابن خلدون، كتاب العبر، مصدر سابق ص 117.



كما شملت التجارة المنسوجات والأقمشة والخيول والمعادن وبعض المنتجات الزراعية والحرفية. <sup>(1)</sup> (بومداح مرزاق، 2024، ص 59-78).

وتشير دراسة حديثة عن القرن السادس الهجري إلى أن صادرات المغرب الأوسط شملت الحبوب والزيتون والأدوات المصنعة والمنسوجات والمعادن والخيول والبغال، في حين شملت وارداته من السودان الغربي الذهب وريش النعام وسلعاً أخرى. وهذا التنوع يدل على وجود تكامل اقتصادي بين المنطقتين.

#### الذهب

احتل الذهب مكانة مركزية في تجارة السودان الغربي. وقد كان توفره في مناطق الجنوب من أهم دوافع التجار للعبور إلى السودان. وكان الذهب يدخل في النشاط النقدي والتجاري، ولذلك كانت له أهمية اقتصادية كبيرة. <sup>(8)</sup> وأدى تدفق الذهب إلى الأسواق الشمالية إلى زيادة أهمية الطرق الصحراوية. كما استفادت الدول التي سيطرت على هذه الطرق من الرسوم والضرائب. <sup>(9)</sup> وكانت تجارة الذهب أحد العناصر التي ربطت اقتصاد السودان الغربي باقتصادات شمال إفريقيا. <sup>(3)</sup> (مسعود خالدي، المرجع السابق، ص 42-60).

#### الملح

كان الملح من السلع الأساسية المتجهة من الصحراء نحو السودان الغربي. <sup>(5)</sup> (البكري، المسالك والممالك ص 108). وترجع أهميته إلى حاجة المجتمعات إليه في الغذاء والحفظ. وقد ساهم اختلاف الموارد الطبيعية بين الشمال والجنوب في استمرار هذه التجارة. <sup>(10)</sup> فالمناطق الصحراوية وفرت الملح، بينما وفرت مناطق السودان الذهب وسلعاً أخرى. ومن هنا نشأ نوع من التكامل التجاري بين البيئتين. <sup>(2)</sup> (بومداح مرزاق، المرجع السابق ص 79).

#### التجارة والخيول والمنسوجات

كانت الخيول من السلع التي اتجهت من مناطق المغرب نحو السودان الغربي. ويرتبط ذلك بأهميتها العسكرية والسياسية. كما شكلت المنسوجات والأقمشة جزءاً من التجارة. وتظهر هذه المبادلات طبيعة العلاقة الاقتصادية؛ إذ كان كل إقليم يقدم منتجات يحتاج إليها الإقليم الآخر.

<sup>(8)</sup> البكري، المسالك والممالك ص 107.

<sup>(9)</sup> ابن حوقل، صورة الأرض.

<sup>(10)</sup> ابن بطوطة، تحفة النظار، ص 67.



وقد ساعد ذلك على استمرار حركة القوافل حتى في فترات التوتر السياسي.<sup>(3)</sup> (بومداح مرزاق، المرجع السابق، ص 59-78).

#### — المراكز التجارية الصحراوية

نشأت مجموعة من المراكز التجارية على امتداد الطرق الصحراوية. ومن أبرزها أودغشت وتادمكة وتوات وغيرها. وكانت هذه المراكز تؤدي وظائف متعددة، منها السوق والاستراحة والتخزين والإقامة. وقد أدى نشاط القوافل إلى نمو الحرف والخدمات. وتصف الدراسات الحديثة المدن الصحراوية بأنها أصبحت أشبه بموانئ داخلية متخصصة في الاستيراد والتصدير.<sup>(4)</sup> (حسين بوبيدي، المرجع السابق ص108).  
أودغشت

كانت أودغشت من أهم المراكز التجارية في غرب الصحراء. وقد ارتبطت بمناطق المغرب وبممالك السودان الغربي.<sup>(11)</sup> وكان موقعها على الطرق التجارية عاملاً أساسياً في نموها. كما استفادت من حركة التجار والقوافل. وقد شكلت محطة مهمة في تجارة الذهب وغيرها من السلع.<sup>(2)</sup> (حسين بوبيدي، المرجع السابق، ص109).

#### — غانة

كانت غانة من الممالك المهمة في السودان الغربي. وارتبط ازدهارها الاقتصادي إلى حد كبير بتجارة الذهب.<sup>(12)</sup> وقد وصف الجغرافيون المسلمون بعض مظاهر الحياة السياسية والاقتصادية فيها. وكانت العلاقات التجارية مع شمال إفريقيا من العوامل التي ساعدت على ربط غانة بالأسواق الصحراوية.<sup>(13)</sup>

#### المبحث الثالث: التجارة والعلاقات السياسية

كانت العلاقات التجارية مرتبطة بصورة وثيقة بالعلاقات السياسية. فاستقرار الطرق يحتاج إلى سلطة سياسية توفر الأمن. ولهذا اهتم الحكام بتأمين الطرق التجارية.<sup>(1)</sup> (مسعود خالدي، المرجع السابق، ص 42-60).

(11) البكري، المسالك والممالك، ص 109.

(12) البكري، المسالك والممالك، ص112.

(13) ابن حوقل، مصدر سابق، ص 99.



وتوضح الدراسات أن المرابطين والموحدين حرصوا على تأمين الطرق وتبادل السلع مع ممالك غانة ومالي وسنغاي.

كما أن استمرار التجارة كان يوفر للدول موارد مالية من الضرائب والرسوم.

وبذلك أصبحت التجارة عنصراً في قوة الدولة.

#### — التجارة في العصر المرابطي والموحدي

شهدت التجارة الصحراوية نشاطاً مهماً خلال العصر المرابطي والموحدي.

وكانت العلاقات مع السودان الغربي جزءاً من المجال الاقتصادي والسياسي للدولتين.

وقد ارتبط المرابطون بصورة خاصة بالصحراء وطرقها.

واستفادت الدولة من السيطرة على بعض المراكز والطرق.

ومع ذلك ظلت حركة القوافل معرضة للتأثر بالحروب والأوضاع السياسية. <sup>(2)</sup> (قدوري عبد الرحمن، 2019، ص 148-159).

#### — تلمسان والعلاقات مع السودان الغربي

اكتسبت تلمسان أهمية متزايدة في العلاقات التجارية الصحراوية خلال العهد الزياني.

وكان موقعها يساعد على اتصالها بشبكة واسعة من الطرق.

كما ظهرت شركات تجارية تلمسانية ووكلاء تجاريون في المراكز الجنوبية.

وتوضح دراسة عن العلاقات بين تلمسان والسودان الغربي أن النشاط التجاري تجاوز المجال الاقتصادي إلى بناء علاقات سياسية

وثقافية وحضارية. <sup>(3)</sup> (عبد الجليل قريان، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية).

#### المبحث الرابع: القوافل وانتشار الإسلام

كان الإسلام أحد أهم العناصر الثقافية التي انتقلت عبر الطرق التجارية.

وقد أسهم التجار المسلمون في نشر الإسلام في المراكز التجارية.

ولم يكن انتشار الإسلام عملية عسكرية بالضرورة، بل ساهمت فيها العلاقات اليومية بين التجار والسكان.

فالتاجر المسلم كان يقدم نموذجاً دينياً واجتماعياً، كما كان وجود المساجد والعلماء في المدن التجارية يساعد على ترسيخ الإسلام.

وتشير الدراسات إلى أن الطرق التجارية لعبت دوراً حضارياً واضحاً في نشر الإسلام بالسودان الغربي. <sup>(1)</sup> (محمد الأمين عطلي، المرجع

السابق، ص 243-264)

#### — اللغة العربية

ساهم الاتصال التجاري في انتشار اللغة العربية في المراكز الإسلامية بالسودان الغربي.

فالعربية كانت لغة للعلم والدين والمراسلات في العالم الإسلامي.

كما استخدمت في بعض المعاملات التجارية.

ومع نمو المدن الإسلامية، ازدادت الحاجة إلى الكتابة والتعليم.



وبذلك ساهمت التجارة بصورة غير مباشرة في انتشار الثقافة العربية.<sup>(2)</sup> (محمد مولاي، مجلة الدراسات التاريخية، 2017).

#### – التجار والعلماء

لم يكن التجار منفصلين عن الحركة العلمية.

فقد تحرك العلماء والفقهاء على الطرق نفسها التي سلكها التجار.

وكانت بعض القوافل تضم أشخاصًا يحملون العلم الديني.<sup>(3)</sup> (محمد مولاي، المرجع السابق، ص 265).

ومع مرور الوقت ظهرت مدن تجارية تحولت إلى مراكز علمية.

وهذا التطور يظهر بوضوح في تاريخ تنبكت وولاتة وجني وغاو.

#### – تنبكت ومراكز العلم

أصبحت تنبكت في مراحل لاحقة مركزًا تجاريًا وعلميًا مهمًا.

وكان موقعها الجغرافي يسمح باستقبال القوافل والتجار والعلماء.

وساعد النشاط التجاري على توفير الموارد التي دعمت الحياة العلمية.

وقد ارتبطت تنبكت بمدن المغرب من خلال التجارة والحج والعلم.<sup>(1)</sup> (محمد مولاي، المرجع السابق، ص 128)

#### – التأثير الاجتماعي والثقافي

أدت التجارة إلى زيادة الاتصال بين سكان المغرب والسودان الغربي.

فقد انتقل الأفراد والسلع والأفكار.

كما ساهمت الأسواق في خلق فضاءات للتفاعل الاجتماعي.

وأدى استقرار التجار في بعض المدن إلى نشوء جماعات تجارية مستقرة.

وبذلك ساهمت القوافل في تغيير بعض جوانب الحياة الاجتماعية في المدن التجارية.<sup>(2)</sup> (محمد الأمين عطلي، المرجع السابق، ص 266).

**المبحث الخامس: الصحراء بوصفها مجالًا للتواصل الحضاري**

تكشف دراسة القوافل أن الصحراء لم تكن مجرد حاجز جغرافي.

بل كانت فضاءً للاتصال.<sup>(3)</sup> (حسين بوبيدي، المرجع السابق، ص 286).

فقد عبرتها القوافل بانتظام، وظهرت على طولها محطات وأسواق.

كما ارتبطت بها طرق الحج والعلم.

ومن هنا يمكن اعتبار الصحراء جزءًا من البنية الاقتصادية والثقافية للعالم الإسلامي في العصور الوسطى.<sup>(4)</sup> (محمد الأمين عطلي،

المرجع السابق، ص 267).



#### المبحث السادس: النتائج الاقتصادية

أدت القوافل إلى:

1. زيادة حجم التبادل التجاري.
2. ربط الأسواق الشمالية بالأسواق الجنوبية.
3. تنشيط المدن الصحراوية.
4. نمو الصناعات والخدمات.
5. زيادة موارد الدول من الرسوم.
6. انتقال الذهب إلى أسواق شمال إفريقيا.
7. انتقال الملح والمنسوجات وغيرها إلى السودان.
8. تنشيط تجارة الخيول.
9. دعم التجار والوسطاء.
10. زيادة قيمة الطرق التجارية.

وتشير الدراسات إلى أن التجارة الصحراوية اتسمت بضخامة السلع وانتقال أعداد كبيرة من التجار بين الشمال والجنوب.<sup>(1)</sup> (مسعود

خالدي، المرجع السابق، ص 42-60)

#### المبحث السابع: النتائج الثقافية والحضارية

يمكن تحديد أهم النتائج الثقافية في:

- انتشار الإسلام.
- انتشار اللغة العربية.
- انتقال العلوم الشرعية.<sup>(1)</sup> (محمد الأمين عطلي، المرجع السابق، ص 243-264)
- نمو المؤسسات التعليمية.
- ظهور مراكز علمية.
- انتقال أنماط الكتابة.
- زيادة الاتصال بين العلماء.
- انتقال العادات الاجتماعية.
- انتشار بعض العناصر العمرانية.
- تعزيز العلاقات الحضارية بين شمال الصحراء وجنوبها.

وبذلك تجاوز أثر القوافل المجال الاقتصادي إلى المجال الثقافي.<sup>(1)</sup> (محمد مولاي، المرجع السابق).



## النتائج العامة للبحث

توصل البحث إلى النتائج الآتية:

أولاً: كانت القوافل التجارية الوسيلة الأساسية للاتصال المنتظم بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي.  
ثانياً: ساهمت البيئة الصحراوية في ظهور نظام اقتصادي خاص يعتمد على القوافل والأدلاء والواحات. <sup>(1)</sup> (حسين بوبيدي، المرجع السابق، ص288).

ثالثاً: أدت قبائل صنهاجة دوراً مهماً في تنظيم وحماية الطرق.

رابعاً: احتل الذهب والملح مكانة محورية في المبادلات.

خامساً: ساهمت المدن الصحراوية في دعم النشاط التجاري.

سادساً: ارتبطت التجارة بالعلاقات السياسية. <sup>(2)</sup> (بومداح مرزاق، المرجع السابق، ص90).

سابعاً: ساهم التجار في انتشار الإسلام.

ثامناً: ساعدت التجارة في انتشار اللغة العربية.

تاسعاً: أدى النشاط التجاري إلى نمو بعض المدن وتحول بعضها إلى مراكز علمية.

عاشراً: أسهمت التجارة في تكوين مجال حضاري مشترك بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي. <sup>(3)</sup> (عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص102).

## الخاتمة

أظهرت الدراسة أن القوافل التجارية كانت عنصراً رئيسياً في العلاقات بين المغرب الإسلامي وبلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط.

فقد نجحت القوافل في تجاوز الحاجز الجغرافي الذي مثلته الصحراء الكبرى، وربطت بين مناطق مختلفة في الموارد والإنتاج.

وكانت التجارة قائمة على تبادل المصالح؛ فالمغرب احتاج إلى الذهب وغيره من منتجات الجنوب، بينما احتاج السودان الغربي إلى الملح والمنسوجات والخيول وبعض المنتجات الشمالية.

كما أدى هذا النشاط إلى نشوء شبكة من المراكز التجارية والواحات والمحطات.

ولم تقتصر نتائج هذه الحركة على الجانب الاقتصادي، وإنما امتدت إلى المجال الثقافي والديني.

فقد انتشر الإسلام عبر شبكات الاتصال التجاري، كما ساعد التجار والعلماء في انتقال اللغة العربية والتعليم الإسلامي.

وتؤكد الدراسة أن تاريخ العلاقات بين المغرب والسودان الغربي لا يمكن فهمه بصورة كاملة دون دراسة القوافل والطرق والمراكز التجارية.

وبالتالي يمكن اعتبار التجارة الصحراوية إحدى أهم الآليات التي ساعدت على تكوين مجال اقتصادي وثقافي مشترك في إفريقيا الإسلامية خلال العصر الوسيط.



## المصادر والمراجع

### أولاً: المصادر الأصلية

1. البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، تونس، الدار العربية للكتاب، 1992م.
2. ابن حوقل، محمد بن أحمد، صورة الأرض، بيروت، دار صادر.
3. الإدريسي، محمد بن محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت، عالم الكتب.
4. ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، بيروت، دار صادر.
5. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، دار الفكر.
6. العمري، أحمد بن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار.

### ثانياً: الدراسات والمراجع الحديثة

7. بوبيدي، حسين، «أهمية مجالات صنهاجة الصحراء في تجارة القوافل بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من ق 2-8هـ/13-18م»، العمران البشري، 2021، ص 63-107.
8. عباس، عبد الله، «دور إقليم توات في المبادلات التجارية بين بلدان المغرب الإسلامي والسودان الغربي»، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج 5، ع 12، 2017، ص 208-217.
9. بومداح، مرزاق، «النشاط التجاري بين بلاد المغرب الأوسط ودول السودان الغربي خلال القرن 6هـ/12م»، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج 12، ع 1، 2024، ص 59-78.
10. خالدي، مسعود، «العلاقات التجارية بين دول المغرب الأوسط وممالك السودان الغربي في العصر الوسيط»، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج 6، ع 3، 2020، ص 42-60.
11. قدوري، عبد الرحمن، «تجارة القوافل عبر الصحراء بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال نهاية العصر الوسيط»، متون، مج 12، ع 1، 2019، ص 148-159.
12. قريان، عبد الجليل، «الواقع والآثار في العلاقات التجارية بين تلمسان والسودان الغربي خلال العهد الزياني»، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية.
13. عطلي، محمد الأمين، «الدور الحضاري للطرق التجارية بين الشمال الإفريقي والسودان الغربي»، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، مج 2، ع 2، 2017، ص 243-264.
14. مولاي، محمد، «الحواضر العلمية ببلاد السودان الغربي»، مجلة الدراسات التاريخية، 2017.

### ثالثاً: مراجع مساعدة

16. جمال زكريا قاسم، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، القاهرة، دار الفكر العربي.



17. صباح إبراهيم الشحلي، النشاطات التجارية العربية عبر الطريق الصحراوي الغربي، بغداد، المنظمة العربية للتربية

والثقافة والعلوم.

18. عبد القادر زيداني، «السودان الغربي وعلاقته الإسلامية الكبرى»، مجلة المؤرخ.